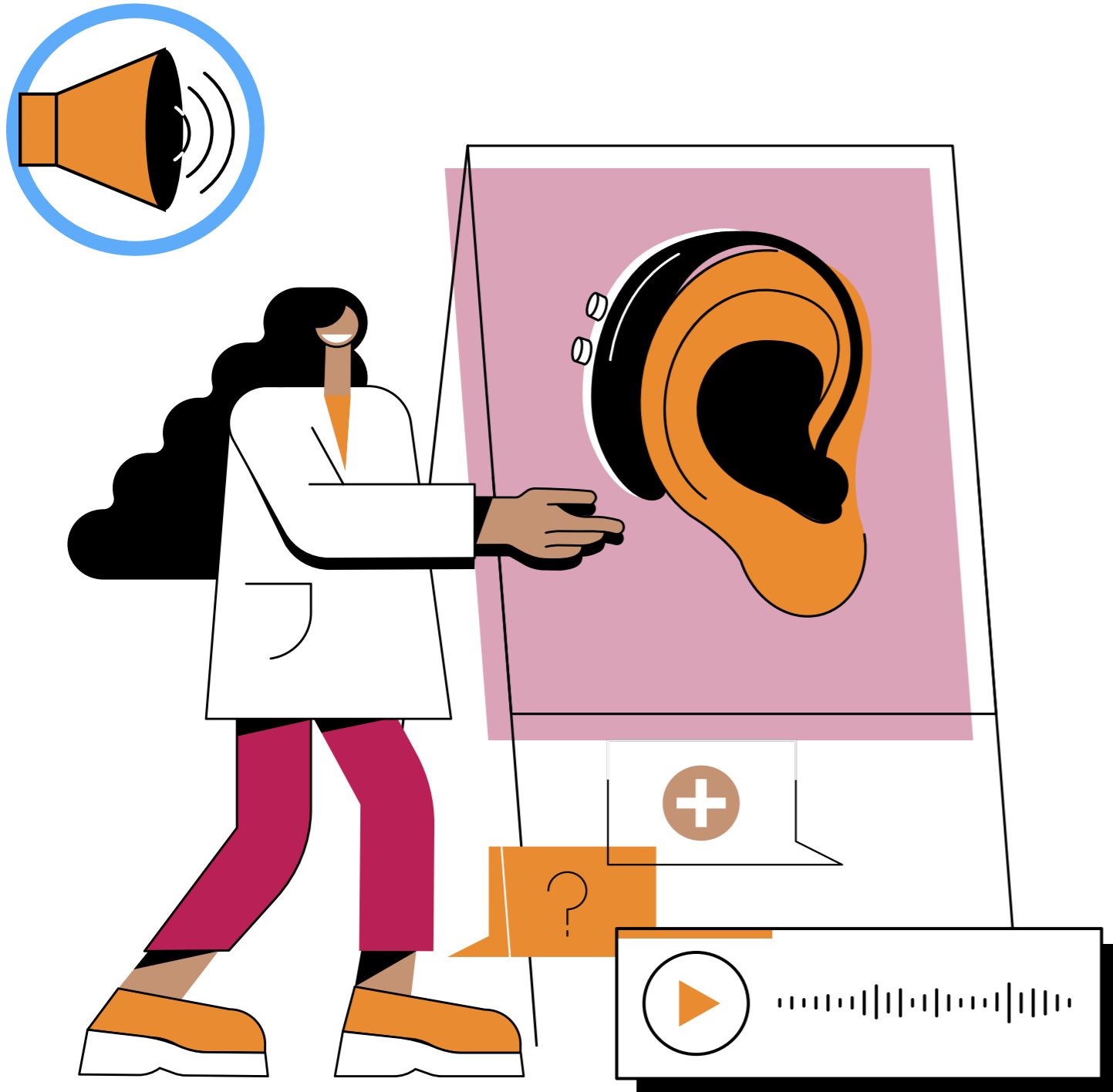


مهارات التخاطب.. بناء المنطوق لتحقيق التواصل اللغويّ الفعّال

محمد تيسير الزعبي



كلها أمور تنمّي مهارة الاستماع. لكنّ نتائج تدريسهم، وفق فهمهم ذلك، لا تُحقّق التعلّم، ولا يصبح الاستماع مهارة أصيلة وثابتة في ممارسات الطلبة اليومية، فما الحلّ؟

كيفية سير حصّة الاستماع في الغرفة الصفّيّة

على المعلم، في البداية، التنبّه إلى أمور تعين على تنظيم سير حصّة الاستماع. أهمّها:

- أن يكون قدوة، فيستمع جيّدًا عندما يتحدّث إليه الطلبة عن أيّ أمر، ولا يقاطعهم، أو يحاول فرض وجهة نظره عليهم.
 - التحلّي بالصبر ريثما يكتسب الطلبة مهارة الاستماع.
 - تجهيز البيئة الصفّيّة الملائمة للاستماع الفعّال، وإثارة دافعيّة الطلبة نحو الاهتمام بالدرس.
 - اختيار نصوص عاديّة للاستماع، ممّا يستمع إليه الطالب في حياته الواقعيّة، فيقرأها المعلم بصوته، أو يستمع إليها الطالب مسجّلة بصوت غير صوت المعلم.
 - اختيار نصوص تتضمّن المعارف والمهارات المتوقّعة من الطلبة. بمعنى أن يكون النصّ مناسبًا، ويخدم ما يريد المعلم تحقيقه بعد الانتهاء من تدريسه.
- بعد ذلك، يتسنى للمعلم تقسيم حصّة الاستماع إلى مراحل

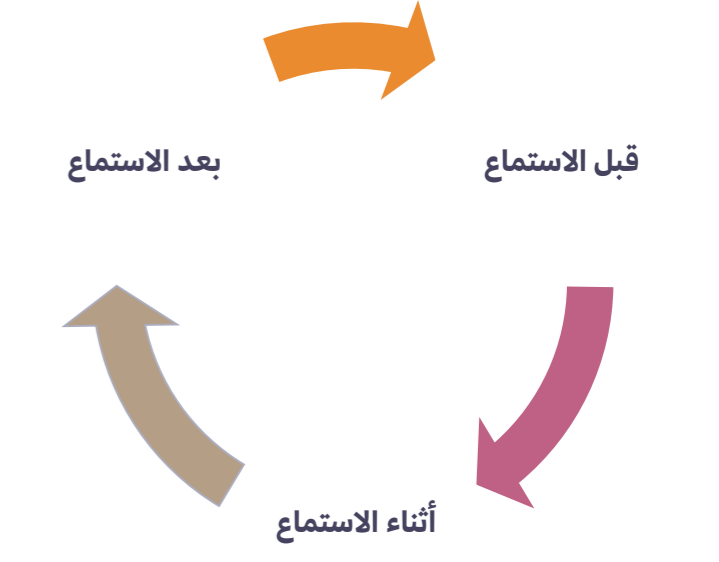
أكد كثير من المعلمين، بعد استطلاع رأيهم في إحدى الورشات التدريبيّة، أنّ عدم جدّيّتهم في تدريس حصّي الاستماع والتحدّث في الغرف الصفّيّة، يعود إلى عدم امتلاكهم استراتيجيات التدريس الفعّالة لهذه المهارة، أو أدوات تقييمها، ولا سيّما أنّ الامتحانات الرسميّة تخلو من الجزء المتصل بهذه المهارة. بالإضافة إلى ذلك، يعتقد بعض المعلمين أنّ تحدّث الطلبة المتواصل باللغة العربيّة، حتّى وإن كانت عاميّة وخالية من الأفكار المتسلسلة، يحقّق وظيفة اللغة التواصلية، مهما كان الموضوع الذي يتحدّثون عنه. وعليه، يعدّ تأمل المعلمين أساليب تعليمهم أثناء تدريس الاستماع أو التحدّث أمرًا جوهريًا وضروريًا، لتحسين التعلّم وتطوير الأداء.

من هنا، حاولت ورشة العمل "بناء المنطوق لتحقيق التواصل اللغويّ الفعّال" الإجابة عن سؤال لماذا يُخفق الطلبة في إتقان مهارات التخاطب المهمّة؟ واقترحت الورشة آليّة إجرائيّة لتقديم حصّة الاستماع أو التحدّث في الغرفة الصفّيّة. ذلك أنّ تدريس الاستماع في سياقه الطبيعيّ والاجتماعيّ أول خطوات الحلّ. يعتقد المعلمون أنّ القراءة البطيئة، وإبراز بعض الكلمات، واختيار نصوص ذات مضمون عميق ونادر، وتكرار قراءة النصّ أكثر من مرّة، والتركيز على الفهم المعرفيّ لما ورد في النصّ،

محدّدة، وعقد نشاطات تدفع الطلبة إلى تنفيذها. ذلك أنّ تدريس الاستماع عمليّة منظّمة وليست عشوائية، يجب أن تمرّ بثلاث مراحل أساسيّة في كلّ حصّة دراسيّة:

مرحلة قبل الاستماع

يركّز المعلّم في هذه المرحلة على تحفيز معرفة الطلبة، وجذبهم



إلى النصّ. يجب أن يثير المعلّم هنا فضول الطلبة للاستماع والاكتشاف، ويدفعهم إلى استحضار معارفهم السابقة حول مضمون النصّ المسموع، وتوقّع المفردات والمصطلحات المتّصلة به.

مرحلة أثناء الاستماع

يركّز المعلّم في هذه المرحلة على توظيف نصّ الاستماع في إكساب الطلبة استراتيجيّة التعلّم المحدّدة في الحصّة، مثل تحقيق مهارة الفهم والاستيعاب، أو مهارة نحوية، أو أيّ مهارة لغويّة. لكن، تزيد في النهاية حصيلة الطالب اللغويّة من التراكيب والمفردات التي توظّف لاحقًا في التحدّث والكتابة.

على المعلّم في هذه المرحلة تجنّب تكرار إسماع الطلبة النصّ أكثر من مرّتين؛ فالاستماع، ضمن السياقات الواقعيّة، لا تكرر فيه، مثل الاستماع إلى أغنيّة، أو النداء في المطار ومراكز التسوّق. يكمن الهدف من عدم التكرار في أنّ الطالب يستمع في الحصّة استماعًا متطابقًا مع استماعه في السياقات الحياتيّة، وهذا ما يحقّق مصلحة الطالب في التعلّم.

مرحلة بعد الاستماع

نقطة الوصول التي يجب أن يصل إليها المعلّم بالطالب هي إحداث تفاعل بينه والنصّ المسموع، وتمكينه من توظيف المهارات اللغويّة التي اكتسبها في المرحلتين السابقتين في حواراته وكتاباته. يعثر الطلبة بذلك على روابط منطقيّة وواضحة بين واقع حياتهم اليوميّة ومضامين النصّ المسموع.

أنموذج تطبيقيّ لسير حصّة الاستماع

أهداف الحصّة (النتائج)			
1- أن يوظّف الطالب في تحدّثه أو كتابته ما اكتسبه من مفردات وتراكيب لغويّة. 2- أن يستحضر الطالب مواقف مشابهة أو مناقضة لفكرة النصّ المسموع. 3- أن يصدر الطالب أحكامًا نقديّة على النصّ المسموع.			
ملاحظات تأمليّة			
* عدد النتائج قليل، ومناسب للفئة العمرية الموجّه إليها النصّ. * الوقت المخصّص للحصّة يكفي لتحقيق هذه النتائج. * النصّ مناسب لتحقيق النتائج، ويتضمّن إجابات للمهمّة التي يريد المعلّم تنفيذها مع الطلبة.			
مرحلة قبل الاستماع (التنبيهية)			
إجراءات المعلّم	دور الطلبة	الوقت	ملاحظات تأمليّة
يفتح المعلّم الحصّة قائلاً: - مرحبًا بكم أيّها المستمعون في حصّة جديدة. في هذه الحصّة سنستمع إلى درس أظنّه سيعجبكم. نصّ يقدّم لنا معلومات جديدة، ومفردات إضافيّة سنستخدمها في أحاديثنا وكتاباتها. هل أنتم متحمّسون؟	- يستمعون	6 د	- النداء على الطلبة في حصّة الاستماع يكون بـ"أيّها المستمعون". يعرّز هذا الأمر نظرة الطالب إلى نفسه بوصفه مستمعًا. - السؤال الذي طرحه المعلّم في التمهيد للحصّة مفتوح، وهذا يعني أنّ أيّ طالب، مهما كان مستواه في الغرفة الصفّيّة يستطيع تقديم إجابة عليه.

قبل أن نستمع إلى النصّ، لديّ بعض الأنشطة والأسئلة:
- ما أكثر شيء تحبّه في قطر؟ أكثر شيء يثير إعجابك في الدولة؟

يفكّر الطلبة بشكل فرديّ ويحاولون تحديد الشيء المميّز في الدولة من وجهة نظرهم.

يقول المعلّم: فليلتفت كلّ واحد منكم إلى شريكه الذي يجلس بجانبه، ويخبره عن الشيء الذي يحبّه أكثر من بقية الأشياء في الدولة، سأتجوّل بينكم لأستمع إلى حواراتكم.

يختار المعلّم شاركتين للاستماع.

يواصل المعلّم: لدينا الآن نشاط مختلف، سأكتب بعض الحروف (ل، د، ب، ا، ي) على اللوح، وأريد من المجموعة الأولى استخدامهما في تكوين عدد من الكلمات بشكل فرديّ، بينما ستكتب بقية المجموعات 6 مفردات لها علاقة بكلمة "الرياضة". انطلقوا بعمل فرديّ في دفاتركم.

يبدأ الطلبة تنفيذ المهمة، بينما يتجوّل المعلّم بينهم لدعمهم، ولا سيّما المجموعة الأولى.

يستمع المعلّم إلى عدد من مشاركات الطلبة.

-التفكير والتأمّل الفرديّ

-الحوار الثنائيّ

-التحدّث والمشاركة

- ينفذ الطلبة المهمة

-يتحدّثون

مرحلة أثناء الاستماع

إجراءات المعلّم	دور الطلبة	الوقت	ملاحظات تأمليّة
يواصل المعلّم: أيّها المستمعون سأبدأ قراءة النصّ، استمعوا إلح جيّدًا. يبدأ المعلّم قراءة النصّ قراءة عاديّة، فلا يُسرّع ولا يُفخّم أو يشدّد نبرة صوته في مواضع من دون غيرها من النصّ.	- يستمعون	15 د	- أثناء القراءة، إذا لم يكن النصّ مُسجّلًا، يقف المعلّم في مكان ثابت في مقدّمة الصفّ، بحيث يكون مرئيًا للطلبة كلّهم. التجوّل أثناء القراءة قد يكون سببًا لإرباك الطلبة وتشنيت تركيزهم. - النصّ قصير، يناسب المرحلة العمريّة، ووقت الاستماع المناسب لن يكون سببًا في ملل الطلبة. بالإضافة إلى أنّ موضوع النصّ من الموضوعات المستقاة من حياة الطلبة وواقعهم الاجتماعيّ. - المهمّات المرتبطة بالنصّ المسموع مناسبة لحاجات الطلبة ومهاراتهم، وتزيد حصيلتهم اللغويّة من المفردات التي يحتاجون إليها للتحدّث والكتابة. - يوجّه الدعم الذي يقدّمه المعلّم إلى المحتاجين فعليًا، فالطلبة العاديّون يعملون على تنفيذ المهمة بشكل طبيعيّ. لذلك، لا حاجة إلى مقاطعتهم، بينما يحتاج الطلبة الذين يعانون تعثرًا إلى دعم حتّى يتمكّنوا من اللحاق بمستوى الطلبة العاديّين.
النتائج التي انعكست على قطر إثر استضافة بطولة كأس العالم كثيرة، أبرزها تشييط القطاع السياحيّ، حيث كانت السياحة هدفًا من أهداف استضافة قطر بطولة كأس العالم، إذ يندرج تعزيز السياحة وتمييتها في الدولة تحت أهداف رؤية قطر 2030، والتي تعمل الدولة بكلّ إصرار لتطبيقها في شتى المجالات.			- يركّز المعلّم، في أسئلة الفهم والاستيعاب التي يطرحها، على المعلومات المهمة في النصّ، والتي يحتاج إليها الطالب للدخول في حوارات أو كتابة فقرات. ليس المطلوب من الطالب استذكار كلّ المعلومات التي تطرّق إليها النصّ. بعد كلّ سؤال، يكرّر المعلّم المعلومة التي يريد أن تترسخ في أذهان الطلبة.

نجحت قطر بالتعريف عن نفسها جيّدًا أمام زوّار البطولة، وبعد انتهائها، عاد بعضهم من جديد إلى قطر بتأمّل معالمها مرّة أخرى.

أظهرت قطر في هذه البطولة مواقف الإسلام الحقيقيّة أمام العالم، فافتتاح البطولة بأية قرآنيّة كريمة، ثمّ المحادثة بين غانم المفتاح ومورغان

فريمان، شكّلا رسالة عظيمة ضدّ التمييز العنصريّ. ووفقت قطر باختيار الشخصيتين، لأنّ غانم واجه عدّة تحديّات بسبب عاهته، ومورغان واجه عدّة مشكلات بسبب لونه.

انسجمت قطر في البطولة مع ثقافتها وتعاليم دينها، فزرعت بذور الإسلام في قلوب المشجّعين البريئة بنشر رمز الاستجابة السريعة في الفنادق التي نزلوا فيها، وخلخلت الأفكار الغربيّة المسبقة عن الإسلام.

بعد الانتهاء من استماع الطلبة للنصّ، يقول المعلّم: الآن، لدينا بعض الأنشطة التي سننفّذها بعد نصّ الاستماع:

- النشاط الأوّل:

يقول المعلّم: بعد استماعكم إلى النصّ، لا بدّ أنّكم اخترنتم في ذاكرتكم بعض المعلومات الواردة فيه. لذلك، سأطرح بعض الأسئلة، فإذا كانت إجابة السؤال "نعم" ارفع الإبهام إلى أعلى، وإذا كانت إجابة السؤال "لا"، ارفع الإبهام إلى أسفل، وإذا كنت لا تعرف الإجابة أو غير متأكّد منها ارفع الإبهام مستقيماً.

1- كانت إفادة القطاع السياحيّ في قطر من بطولة كأس العالم كبيرة.

2- عاد السياح لزيارة قطر بعد انتهاء بطولة كأس العالم.

3- حفل افتتاح بطولة كأس العالم لم يحقّق الهدف منه.

4- عرف المشجّعون كثيرًا من المعلومات عن الدين الإسلاميّ أثناء البطولة.

يختم المعلّم النشاط بالقول: جميل، صار لديك معلومات مهمّة حول إفادة القطاع السياحيّ من بطولة كأس العالم.

- النشاط الثاني:

يقول المعلّم: سأعرض النصّ أمامكم على الشاشة، وستجدون بعض الكلمات التي وضعت تحتها خطأ، وأنتم ستستبدلون هذه المفردات بكلمات أخرى من دون أن يتأثّر المعنى.

انطلقوا الآن بعمل فرديّ.

يقول المعلّم: توقّفوا الآن، وكلّ واحد منكم يُطلع شريكه على الكلمات التي اختارها، قبل أن أستمع إلى بعض المشاركات.

يتجوّل المعلّم لدعم الطلبة، ويمنح المجموعة الأولى دعمًا إضافيًا، لمساعدتهم على حلّ مشكلة التعرّث الذي يعانونه.

- النشاط الثالث:

يقول المعلّم: أيّها المستمعون، بعد استماعي إلى النصّ، تارت في نفسي بعض الأسئلة، إذ خطر في بالي أن أعرف: ما الذي حصل لغانم المفتاح؟ وأسأل كذلك من هو مورغان؟

لذلك، تذكّروا أدوات الاستفهام التي مرّت في الوحدة السابقة. من يخبرنا بها؟

يستمع المعلّم إلى الطلبة ثمّ يدوّن أدوات الاستفهام على اللوح

(أين، متى، ماذا، كيف....).

أريد من كلّ واحد منكم أن يوظّف هذه الأدوات في صياغة سؤالين يحتاج إلى معرفة إجابتهما. انطلقوا بعمل فرديّ.

يتجوّل المعلّم بين الطلبة، ويتوقّف عند المجموعة الأولى. يقول لهم: وردت في النصّ كلمات، مثل المشجّعين، والمسلمين. هاتوا 5 كلمات على النسق نفسه.

بعد دقيقتين، يقول المعلّم:

توقّفوا الآن، وكلّ واحد منكم يُطلع شريكه على السؤالين اللذين كوّنهما، قبل أن أستمع إلى مشاركاتكم.

مرحلة بعد الاستماع

إجراءات المعلّم	دور الطلبة	الوقت	ملاحظات تأملية
<p>- النشاط الأوّل: يقول المعلّم: أيّها المستمع، لو كنت مكان كاتب النصّ، ما الفكرة التي توّد إضافتها؟ ولماذا؟ فكّر لدقيقتين قبل أن أسمع مشاركتك.</p> <p>- النشاط الثاني: يقول المعلّم: سأطرح عليكم سؤالًا وأريد منكم التفكير قبل الإجابة عنه: ما أكثر فكرة أثارت اهتمامك في النصّ وتودّ البحث والتوسّع في فهمها؟ ولماذا؟</p> <p>- النشاط الثالث: يقول المعلّم: لم يكن القطاع السياحيّ وحده المستفيد من بطولة كأس العالم. لذلك، لتأخذ كلّ مجموعة من المجموعات ورقة كبيرة، وتصمّم خريطة مفاهيمية ترصد فيها القطاعات التي تعتقد أنّها أفادت من بطولة كأس العالم، مثل القطاع التجاريّ والصناعي وغيره.</p> <p>- النشاط الرابع: يقول المعلّم: لا بدّ أنّ النصّ أثار فينا مشاعر الفخر. لذلك، أريد من كلّ واحد منكم، اليوم في المنزل، العودة إلى أحد محرّكات البحث ليستخرج منه بيتين من الشعر أحتهما في حبّ الوطن، ويطبعهما على ورقة أو يكتبهما بخطّ يده، لنعلّقهما في ممزّات المدرسة. لا تنسوا كتابة اسم الشاعر الذي قالهما، واسمك على اللوحة التي صمّمتها. ولو رغبت، بإمكانك نشر البيتين في أحد مواقع التواصل الاجتماعيّ التي تستخدمها.</p>	<p>-تنفيذ الأنشطة</p>	<p>19د</p>	<p>- قد يختار المعلّم أنشطة مختلفة، يكون الهدف منها بناء معرفة في ذهن الطالب بعد الاستماع وتنميتها. بالإضافة إلى التركيز على أهميّة امتلاك الطالب رأيًا يدافع عنه، ويستطيع التعبير عنه بالتحدّث أو الكتابة.</p>

* * *

يؤثّر الاستماع في مهارات اللغة الأخرى كلّها، وهو بوابة التحدّث والكتابة في لغتنا العربيّة، ولا سيّما أنّ الأثر المتوقّع من الاستماع يتجاوز حدود الغرفة الصقيّة، ليشمل السياق الاجتماعيّ الذي يعيش فيه الطالب. يعدّ إتقان مهارة الاستماع في الغرفة الصقيّة بداية جعل الطالب مستمعًا جيّدًا مدى الحياة.

محمدّ تيسير الزعبي

خبير أساليب اللغة العربيّة ومُصمّم برامج تدريبيّة الأردن